

فن اختيار شريك الحياة

فن

قبل أن نتحدث عن فن اختيار شريك الحياة لابد من معرفة طبيعة العلاقة الزوجية أولاً حتى نعرف متطلبات الاختيار وأهميتها:

من المقابلة والحديث صفاته وطباعه وأخلاقه وذلك من الرسائل اللفظية وغير اللفظية الصادرة عنه، ومن مراجعة أنماط الشخصيات التي حددها علماء النفس ومفاتيح تلك الشخصيات.

٢- الاستشارة: بأن نستشير من حولنا من ذوى الخبرة والمعرفة بطباع البشر. ونسأل المقربين أو المحيطين بالشخص المتقدم للزواج (زملاءه أو جيرانه أو معارفه) وذلك لكى نستوفى الجوانب التى لا نستطيع الحكم عليها من مجرد المقابلة، ونعرف التاريخ الطولى لشخصيته ونعرف طبيعة أسرة المنشأ وطبيعة المجتمع الذى عاش فيه. وفى بعض الأحيان يلجأ أحد الطرفين أو كلاهما لاستشارة متخصص يحدد عوامل الوفاق والشقاق المحتملة بناءً على استقراء طبيعة الشخصيتين وظروف حياتهما.

٣ - الاستخارة: ومهما بذلنا من جهد فى الرؤية والتفكير والاستشارة تبقى جوانب مستترة فى الشخص الآخر لا يعلمها إلا الله الذى يحيط علمه بكل شيء ولا يخفى عليه شيء، ولهذا نلجأ إليه ليوفقنا إلى القرار الصحيح وخاصة أن هذا القرار هو من أهم القرارات التى نتخذها فى حياتنا إن لم يكن أهمها على الإطلاق. والاستخارة هى استلزام الهدى والتوفيق من الله بعد بذل الجهد البشرى الممكن. أما من يتخذ الاستخارة بشكل تواكلى ليريح



يفيد فيه تفكير أو تدبير أو سؤال، وإنما هو أمر مقدر سلفاً ولا يملك الإنسان فيه شيء. وهذه نظرة تكسر للسلبية والتواكل ولا تتفق مع صحيح العقل والدين. فعلى الرغم من أن كل شيء فى الكون مقدر فى علم الله إلا أن الأخذ بالأسباب مطلوب فى كل شيء، ومطلوب بشكل خاص فى موضوع الزواج نظراً لأهميته التى ذكرناها آنفاً، ومطلوب أن يغطى كل المستويات الممكنة. لذلك يمكننا تقسيم آليات الاختيار إلى ثلاثة مستويات أو دوائر كالتالى:

١- الرؤية والتفكير: وذلك بأن نرى المتقدم للخطبة ونتحدث معه ونحاول بكل المهارات الحياتية أن نستشف

أولاً: العلاقة الزوجية هى علاقة متعددة الأبعاد بمعنى أنها علاقة جسدية، عاطفية، عقلية، اجتماعية وروحية. ومن هنا وجب النظر إلى كل تلك الأبعاد حين نفكر فى الزواج. وأى زواج يقوم على بعد واحد مهما كانت أهمية هذا البعد يصبح مهدداً بمخاطر كثيره.

ثانياً: العلاقة الزوجية علاقة أبدية (أو يجب أن تكون كذلك) وهى ليست مقصورة على الحياة الدنيا فقط وإنما تمتد أيضاً للحياة الآخرة.

ثالثاً: العلاقة الزوجية شديدة القرب. وتصل فى بعض اللحظات إلى حالة من الاحتواء والذوبان.

رابعاً: العلاقة الزوجية شديدة الخصوصية بمعنى أن هناك أسراراً وخبايا بين الزوجين لا يمكن ولا يصح أن يطلع عليها طرف ثالث.

وأكبر خطأ يحدث فى الاختيار الزوجى أن يشغل أحد الطرفين ببعد واحد (اختيار أحادى البعد) ولا ينتبه لبقية الأبعاد. والزواج ليس علاقة بين شخصين فقط وإنما هو أيضاً علاقة بين أسرتين وربما بين عائلتين أو حتى بين قبيلتين أى أن دوائر العلاقة تتسع وتؤثر فى علاقة الزوجين سلباً وإيجاباً. ومن هنا تتضح أهمية أسرة المنشأ والعائلة والمجتمع الذى جاء منهما كل طرف. ومن التبسيط المخل أن يقول أحد الطرفين أنا أحب شريك حياتى ولا تهمنى أسرته أو عائلته أو

المجتمع الذى جاء منه. فالشريك لابد أنه يحمل فى تكوينه الجينى والنفسى إيجابيات وسلبيات أسرته والبيئة التى عاش فيها. ولا يمكن أن نتصور شخصاً يبدأ حياته الزوجية وهو صفحة بيضاء ناصعة خالية من أى تأثيرات سابقة. بل الأحرى أنه عاش سنوات مهمة من حياته متأثراً بما يحيطه من أشخاص وأحداث تؤثر فى سلوكه المستقبلى. ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا».

*** آليات الاختيار:** بعض الناس يعتقدون أن الزواج قسمة ونصيب وبالتالي لا



أ.د. محمد المهدي

رئيس قسم الطب النفسي
جامعة الأزهر - فرع دمياط

وربما يسأل سائل: ما هو النمط المثالي من بين هذه الأنماط؟ .. والإجابة هي: أن الزواج مسألة توافق بين الطرفين، فكلما كان كل طرف يلبي احتياجات الآخر كان التوافق متوقفاً، ومن هنا يصعب القول بأن نمطاً محدداً هو النمط المثالي حيث، إن لكل زوج وزوجة احتياجات متباينة يبحث عنها في نمط معين يلبي هذه الاحتياجات، وإن كانت القاعدة العامة هي أن يكبر الزوج الزوجة ويسبقها في مراحل النضج النفسي والاجتماعي.

والرسول صلى الله عليه وسلم كان له في حياته هذه الأنماط الثلاثة من الزوجات، فقد كان له الزوجة الأم ممثلة في السيدة خديجة رضى الله عنها وكأنما كان يعوض بها حنان الأم الذي افتقده وهو صغير، وكان وجودها مهما جداً في هذه الفترة من حياته حيث كان في حاجة إلى من يحتويه ويرعاه ويسانده خاصة في المراحل الأولى من الدعوة، وتزوج في مراحل تالية الزوجة الصديقة متمثلة في السيدة حفصة والسيدة زينب بنت جحش، ثم كان له نمط الزوجة الابنة ممثلة في السيدة عائشة التي اقترن بها في مرحلة من عمره استقرت فيها الدولة والرسالة وأصبح في وضع يسمح له برعاية واحتواء وتدليل زوجة صغيرة، وكأنما كان صلى الله عليه وسلم يواكب احتياجات فطرته كما يواكب احتياجات رسالته، فزوجاته كانت تحقق في

العلاقة الزوجية علاقة متعددة الأبعاد

منهم أشياء تسهل قراءة بقية السمات التي حاولوا إخفاءها بقصد التجميل أو الخداع، خاصة إذا تكررت المقابلة أكثر من مرة قبل بداية الخطوبة أو أثناء فترة الخطوبة. وهناك مجموعة من الشخصيات يصعب جداً التعايش معها، ومجموعة أخرى من الشخصيات يمكن التعايش معها مع وجود بعض المتاعب والمشكلات.

* أنماط الزوجات:

هناك ثلاثة أنماط رئيسية للزوجات قائمة على فارق السن وعلى الدور الذي يلعبه كل شريك مع الآخر:

١- الزوجة الأم: وهي غالباً أكبر سناً من الزوج وتقوم هي بدور رعايته واحتوائه.

٢- الزوجة الصديقة: وهي قريبة في السن من زوجها، ولهذا فالعلاقة بينهما تكون علاقة متكافئة، أقرب ما تكون إلى علاقة صديقين يعرى كل منهما الآخر بشكل تبادلي.

٣- الزوجة الابنة: وهي تصغر الزوج بسنوات كثيرة، ولذلك يتعامل معها كطفلة يدللها ويرعاها ويتجاوز عن أخطائها، بينما تلعب هي دور الطفلة وتسعد به.

يكفى فائض كل شخص لإشباع حاجات الشخص الآخر.

* أنماط من الشخصيات يجب الانتباه إليها عند الزواج:

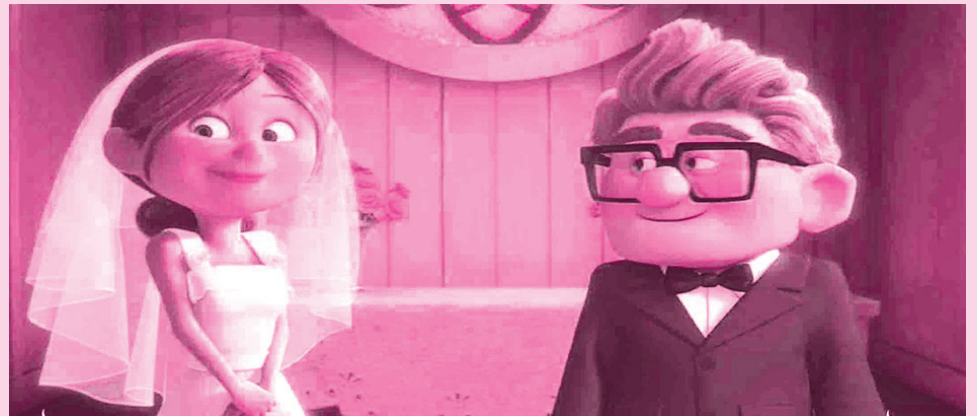
ولما كان موضوع الاستشارة يعتمد أساساً على الآخرين وأمانتهم وبصيرتهم، ونظراً لاحتمالات الخداع في هذا الجانب بسبب ضعف التواصل بين الناس وعدم معرفتهم ببعضهم بدرجة كافية حتى ولو كانوا جيراناً متقابلين في عمارة واحدة أو حتى أقارب، لذلك يصبح للمقابلة الشخصية أهمية كبيرة في قرار الزواج لأنها رؤية فعلية للآخر دون وسيط (خداع أو مخدوع أو مجامل). ولكن هذه الرؤية أو المقابلة الشخصية المباشرة تحتاج لعلم ومهارة لكي تتمكن من فهم مفاتيح الشخصية وتحديد نمط سلوكها الحالي والمستقبلي. وقد أصبح هذا ممكناً بناءً على الدراسات المستفيضة في العلوم النفسية بحيث تم تقسيم الشخصيات إلى أنماط لها خصائص محددة ومفاتيح تسهل قراءتها إلى حد كبير. والناس كثيراً ما تتجمل وتلبس أفتعة ولكنهم لا يستطيعون طول الوقت أن يخفوا صفاتهم الحقيقية كلها فتلت

نفسه من عناء البحث والتفكير والسؤال فإنه أبعد ما يكون عن التفكير السليم. والاستخارة تتم بصلاة ركعتين بنية الاستخارة يتبعهما الدعاء التالي: « اللهم إنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك فأنت تعلم ولا أعلم وتقدر ولا أقدر وأنت علام الغيوب. اللهم إن كان في هذا الأمر (ويسمى الأمر قيد الاستشارة) خير لى فى دىنى ودينائى وعاقبة أمرى فيسره لى واقدره لى، وإن كان فى هذا الأمر شر لى فى دىنى ودينائى وعاقبة أمرى فاصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ثم ارضنى به». ونتيجة الاستخارة تأتى فى صورة توفيق وتوجيه فى اتجاه ما هو خير، وليست كما يعتقد العامة ظهور شيء أخضر أو أبيض فى المنام. والاستخارة تعطى للإنسان سندا معنوياً هائلاً وتحميه من الشعور بالندم بعد ذلك.

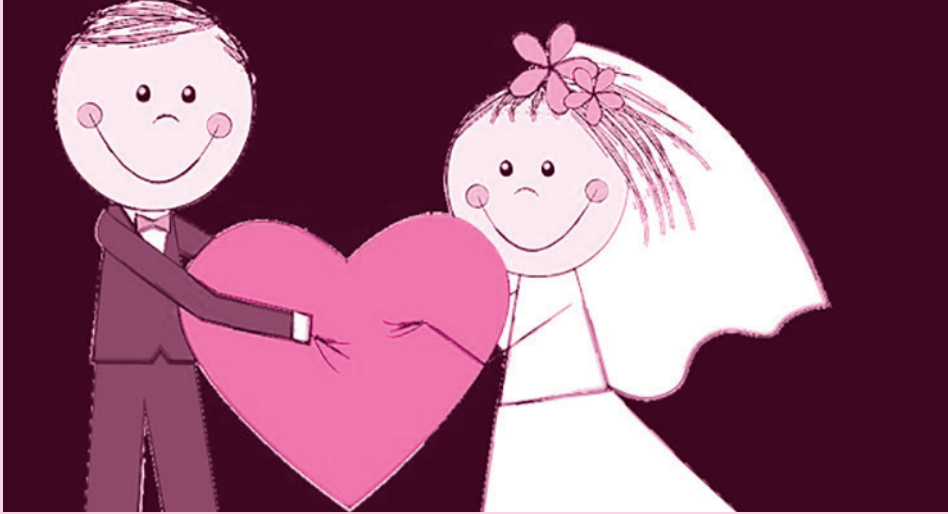
* التوافق والتكامل وليس التشابه أو التطابق:

وما يهم فى شريكى الحياة أن يلبي كل منهما احتياجات الآخر بطريقة تبادلية ومتوازنة، وهذا لا يتطلب تشابههما أو تطابقهما وإنما يتطلب تكاملهما بحيث

العلاقة الزوجية علاقة أبدية..



العلاقة الزوجية شديدة الخصوصية



مراحلها وأنماطها المختلفة تلبية لاحتياجات فطرية مشروعة وتلبية لاحتياجات الرسالة من مصاهرة وتقوية صلات ورواية حديث ورعاية أسر مات عائلها.

* التكافؤ:

وهو يعنى تقارب الزوجين من حيث السن والمستوى الاجتماعي والثقافي والقيمي والديني، ذلك التقارب الذي يجعل التفاهم ممكناً حيث توجد مساحات مشتركة تسمح بدرجة عالية من التواصل بين الطرفين. وكثيراً ما يحاول المحبون القفز فوق قواعد التكافؤ اعتقاداً بأن الحب كفيل بتجاوز الحدود العمرية والاجتماعية والثقافية والدينية. ولكن بعد الزواج حين تهدأ حرارة الحب تبدأ هذه العوامل في التكتشف شيئاً فشيئاً وينتج عنها عوامل شقاق عديدة. وكلما توافر للزواج أكبر قدر من عوامل التكافؤ كانت احتمالات نجاحه أعلى. وهذه القاعدة لها استثناءات عديدة فأحياناً يكون هناك عامل أو عاملان من عوامل التكافؤ مفقود ولكن يعوضه أو يعوضهما عوامل أخرى أكثر قوة وأهمية

* سوء التوافق المحسوب:

أحياناً نجد زوجين بينهما اختلافات هائلة في العمر أو في المستوى الاجتماعي أو الثقافي أو الديني. وهذه الاختلافات تنبئ باضطراب التوافق بينهما، ولكننا نجد في الواقع أنهما متوافقان (أو على الأقل متعايشان رغم ما بينهما من عوامل شقاق). والسبب في ذلك أن كلا منهما يحتاج الآخر على الرغم مما بينهما من سوء توافق ظاهري. فمثلاً نجد زوجة حسنة صغيرة السن قد تزوجت رجلاً يكبرها كثيراً في السن. فنحن نتوقع لها التعاسة. ولكنها في الحقيقة متوافقة لأن المال والحياة المرفهة تعنى الكثير

الجامعات الألمانية بدراسة طبائع الشبان والشابات بناءً على ترتيبهم أو ترتيبهن في أسرة المنشأ ومناسبة النماذج المختلفة لبعضها البعض فوجد التالي:

- الفتاة التي تبحث عن قوة الشخصية والثروة عليها أن تركز جهودها في البحث عن أكبر إخوته فهو (عادة) أكثرهم توفيقاً ونجاحاً و(عادة) أقواهم شخصية وأقدرهم على فهم الناس وعلى الإنجاز.

- وإذا كانت تبحث عن الحنان فستجده في قلب شاب له أخوات أصغر منه .

- وإذا كانت تبحث عن زوج ضعيف الشخصية تحركه كيف تشاء، فإنها تجد هذا في أصغر الأبناء في الأسرة، فهو قد تعود على تلقي الأوامر والتعليمات ولم يتعود على إصدارها والعروس التي تبحث عن هذا النمط من الأزواج هي (عادة) الأخت الكبرى التي قد تعودت أن تكون صاحبة الرأي والسلطة.

- والعريس الملائم لأصغر أخواتها هو أكبر إخوته فقد تعود أن يكون الحاكم بأمره، وتعودت هي على تلقي الرعاية وتلقي الأوامر.

النمط من الرجال. ونجدها تفعل ذلك وتتوافق معه على الرغم من شكواها المستمرة من القسوة والاستبداد .

* أهمية أسرة المنشأ:

تلعب أسرة المنشأ دوراً هاماً في تشكيل شخصية شريك الحياة، فالشخص الذي عاش في جو أسرى هادئ ودافئ في حضن أبوين متحابين متآلفين ومع إخوة وأخوات يتعلم معهم وبهم معنى العيش مع آخرين، هذا الشخص نتوقع نجاحه أكثر في الحياة الزوجية لأن نموذج الأسرة بكل أركانها يكون مطبوعاً في برنامج العقل والوجداني. فهو أكثر قدرة على أن يحب ويحب، وأن يعطي ويأخذ، وأكثر قدرة على العيش المستقر الدائم مع شريك الحياة. وعلى العكس من ذلك نجد أن الشخص الذي رأى وعاش تجربة انفصال والديه وتفكك الأسرة. نجده أكثر قدرة على الهجر وعلى الانفصال عن شريكه، لأنه تعود على الهجر وتعود على الاستغناء عن الآخر. ولا يجد صعوبة في ذلك، كما أن نموذج الأسرة ليس واضحاً في عقله ووجدانه.

وقد قام «التر ترومان» وهو أستاذ لعلم النفس بإحدى

بالنسبة لها وهي لا تستطيع الاستغناء عنها. إضافة إلى أن هذه الزوجة الصغيرة افتقدت في طفولتها حنان الأب وهي في حاجة شديدة إلى من يعوضها هذا الحنان، لذلك نجدها تنفر من أبناء جيلها وتعتبرهم شباباً طائشين غير ناضجين وتتوق إلى الزواج من شخص ناضج حتى ولو كان يكبرها بسنوات عديدة. أو أننا نرى زوجة قوية ومسترجلة تقود زوجها وتسيطر عليه، فتتوقع أنهما غير سعيدين، ولكن في الواقع نجد أنهما متوافقان لأن الزوج لديه الرغبة في أن يحتفى بأحد وأن يرعاه أحد، فيجد ذلك عند زوجته، خاصة إذا كان قد حرم حنان الأم فيحتاج إلى أن يلعب دور الطفل مع زوجة تلعب دور الأم. وهناك الكثير من الخيارات التي تبدو شاذة أو غريبة ولكنها في الحقيقة تحقق هذه الحالة من عدم التوافق المحسوب.

ومن المفارقات أن نجد فتاة عانت من قسوة أبيها واستبداده ومع هذا نجدها عند زواجها قد اختارت زوجاً قاسياً مستبداً وكأنها قد أدمنت العيش تحت السيطرة والقهر فلا تستطيع أن تحيا بغير هذا